Editor - in- Chief
Fakhri Karim
Al Mada
General Political Daily
Wed(28) April 2004
http://www.almadahouse.com
E-Mail-almada112@yahoo.com

منشورات دار (المدى) للثقافة والنشر والفنون

حي الديدان

المؤلف: د. بريجيت مارينو
المترجم: د. ماهر الشريف
(٤٩٦)

الكتاب مساهمة متميزة في تجديد الدراسات الخاصة بسوريا، إذ هو، يمثل المحاولة الأولى لكتابة تاريخ حي من أحياء دمشق في العصر العثماني انطلاقاً من وثائق المحفوظات العثمانية.فهذا الحي الكبير الممتد على مسافة كيلومترين ونصف على الطريق المؤدي إلى جنوبي سوريا، وإلى فلسطين والحجاز، لارتباطه برحلة الحج إلى الأماكن المقدسة في مكة والمدينة والتي كان يجري تنظيمها في دمشق.

الفنان التشكيلي فاضل حياة:

اتمنى أن يكون لي بيت أصدح فيه على راحتي!

كلما التقينا هذا الفنان، وجدنا شيئاً من الحزن والمكابرة فيه. إنه من الجيل الستيني الشهير في ساحتنا الفنية. لم تتح له الفرصة الكاملة، كما اتيحت لابناء جيله، لقد عانى فاضل حياة من حياة الأسر في سجون ايران التي امتدت لعشرة اعوام، فضلاً عن حالات التغييب والقسر خلال النظام السابق. ولد في كركوك في العام ١٩٤٥ ودرس فيها. ثم انتقل الى بغداد في عام ١٩٦٤ وتتلمذ على يد الفنان الرائد عطا صبري.. اقام معارضه الاولى في الاعوام ١٩٦٥/ ١٩٧٨/ ١٩٧٩ وكان معرضه الاخير مكرسا لفن ا(لبوستر) في الهواء الطلق على ضفاف دجلة.

عدنان مرشد

(المدى) التقت هذا الفنان واجرت معه هذا الحوار...

★ انت من جيل الستينيات اليس كذلك؟

- اقول نعم. وانها لمفارقة حقاً ان تجدني محسوباً على جيل الستينيات المحترم، من دون تحقيق طموحاتي وشواغلي الفنية بشكل كامل. وهذا ما يدعوني الى القول، بإنني فنان سيء الطالع منذ البدء، لأنني على اعتقاد بإن لكل انسان نجما يحميه. والمؤسف، انني لم أتلمس نجمي ذات يوم، فضلاً عن زهدي الكامل بالظهور.

★ الا تعتقد ان سنوات الاسر العشر في إيران سبب في تحييد نشاطك الفني؟

- بل هي اول الاسباب مأساوية في حياتي، واكثرها مدعاة للسخرية. ومع ذلك، فهذه السنوات هي سداد ضريبتي للنظام السابق، شأني في ذلك شأن كل عراقي مستقل، لا يمت بصلة لهذا النظام االفاشستي المريع من قريب او بعيد.

★في الاسلوب او اللااسلوب من يتأمل مجمل اعمالك الفنية، يجد انك مبحر في جميع المدارس الفنية ولاثمة اسلوب مميز، واضح ومعلن في هذه الاعمال. فما السبب؟

- وهل في الامر مثلية يا صديقي؟.... على العكس تماماً، انا اجد ان من يتسلح بالاسلوب الاكاديمي في الفن ويحلق فيه، حري به ايضاً ان يحلق في سماوات الاساليب والمدارس الفنية الاخرى. الاسلوب هو (اللااسلوب) في تقديري، وهذا هو ديدني الفني منذ اكثر من اربعة عقود.

★ وماذا عن علاقاتك بالخط العربي؟

- أنا خطاط منذ طفولتي وصباي في المراحل الابتدائية والمتوسطة. لقد عشقت الخط العربي برغم قوميتي الكردية، لان المرحوم والدي كان مهووساً بهذ الخط، وكان يثيرني رسمه للحروف العربية، حتى بقلم الرصاص على غلاف علبة سكائره البيضاء، كاغلفة سكائر (تركيا) او (المختار) العراقية القديمة. ناهيك عن شغفي بانجازات خطاطين كبار في العراق والعالم، امثال هاشم البغدادي، وحامد الامدي التركي، وحسني المصري، وغيرهم الكثير.

★ هل ثمة اساتذة في تجربتك الفنية؟

- استاذي الاول الفنان الراحل عطا صبري، الذي تتلمذت على يديه في معهد التراث والفولكلور خلال النصف الاول من العقد الستيني الماضي. ثم انبهرت بتجارب الفنان الرائد جواد سليم ولا سيما في دعوته لاحياء المدرسة البغدادية، واعد محاولاته في الرسم والنحت اشراقة كبيرة في سماء الفن العراقي والعربي على حد سواء.

الرفيق التشكيلي ورموزه

★ وهل لنا ان نتعرف على رأيك في ما يكتب من نقد حول المشهد التشكيلي؟

- شخصياً، احترم هذا النقد، خصوصاً باقلام الفنانين التشكيليين انفسهم، امثال: الراحل شاكر حسن آل سعيد ونوري الراوي وعاصم عبد الامير، فضلاً عما كتبه نقاد كبار، انطلقوا اساساً من منطقة الادب العراقي كسهيل سامي نادر وعبد الرحمن طهمازي وفاروق يوسف.. وما عدا هذه الاسماء الرصينة الخلاقة وارجو ان لا اكون متجنياً على احد، فكل ما كتب او يكتب في هذا الحقل، هو استهلاك صحفي يتنافى مع تقاليد واخلاقيات مشهدنا التشكيلي العراقي.. اللهم، إلا الحاجة الصحفية التي لا تغني!

★ انهيت هذه اللقاء بسؤال ضاحك، ولم اتوقع ان يجيبني الفنان فاضل بجد. السؤال: ماذا لو بعت لوحة من لوحاتك بعشرة آلاف دولار.. ماذا تفعل؟

- لو حصل هذا لاشتريت بيتاً عامراً في قلب بغداد يتسع لبناتي الثلاث وشريكة عمري، بدلاً من المشتمل المؤجر الصغير في اطراف منطقة البياع، وسيكون لي محترف فني، لا اضايق فيه عائلتي الصغيرة في شواغل الرسم، وانهماكاتي الفنية المتعددة، كحق الغناء بصوت عال، وسأردد اغنية: (ما بيه اعوفن هلي..)

وقفة

الفضائيات/الدفانة

عبد الكريم العبيدي

على اي حال مات صاحبنا او قتل على وجه الدقة.. نهشته المعتقلات والتعذيب والرعب، وما ان تنبأ طبيب السجون بقرب هلاكه حتى اطلق سراحه فمكث في بيته هيكلاً او شبحاً عليلاً.. وبعد ايام "اعطانا عمره" وذهب الى رحمة الله!

هرعنا نحن المعزين وحملناه الى مثواه الاخير في احدى المقابر اجرينا له تشييعاً بسيطاً ومشينا وراء جنازته الى المقبرة هناك هرع لنا "الدفانة" مسرعين.. وجوه تهلل فرحاً، وعيون متلهفة تحدق في كل مكان.. وسرعان ما اجروا اتصالاً هاتفياً الى متعهد مقبرة الفقيد ليزفوا له البشرى ويطالبوه "بالحلاوة"..

وسرعان ما ظهر "الدفان المعني" وعصابته.. صافحنا بحرارة ويشكرنا على تذكره، وعلى اصرارنا العنيد على دفنه في مقبرته حصراً.

الدفان وعصابته كانوا فرحين الى الحد الذي ادهشنا فعلا وجعلنا ننسى احزاننا ونصعق بما نراه ونسمعه، من حركة وحوارات سريعة وهمة عالية!! حقا كان المشهد تنقصه الحلوى والزغاريد والتهاني!!

وكان علينا نحن "المهنئين" ان نجلبها لهم مع الجنازة.. لقد كان قصوراً واضحاً منا.

ولكن المشهد الآن بدأ يتكرر مراراً منذ اكثر من عام، ليس في مقبرة صاحبنا بل على شاشات التلفزيون.. في الفضائيات التي غزت بيوتنا، وكشفت لنا عالما ما كنا لنراه لولا ان هدتنا له.. مذيعون ومراسلون "دفانة" يسرحون في "ارجاء العراق" ليلتقطوا فقط الدم والجثث والدمار " والتصريحات الوطنية".. ويتهافتوا على اطلاقها في فضائياتهم. ليزفوا بشرى سارة جداً الى العراقيين عن مظاهر القتل والمجازر والعنف والخراب.. وجوههم تهلل فرحاً مثل اقرانهم، واصواتهم تتشنج وتختنق من صدمة الفرح والخبر العاجل، وجاءنا توا!!

هل تحولت هذه الفضائيات الى دفانين، مثلما حولونا الى مقبرة وهل اصبحت "عيشتها" على دمنا واحزاننا وخراب بيوتنا؟

لقد نجونا من آل صدام ومقابره، وصار لنا صوت في مختلف الفعاليات الادبية والثقافية والفنية "النظيفة" فاين عيونها منها؟

ياأهل الفضائيات.. اتركوا مهنة الدفن والمقابر.. قبل ان نتركك!